

قضية حمور الأقرع

قصة بقلم مبارك ربيع

الا ليمدد رجليه ، فلم يكن بالإمكان نقل أسرته اليها ، وان زوجها كان يزور بيته ذلك بانتظام كل يوم في ساعات فراغ من ليل او نهار ، ليقتضي فترة مع أسرته ، وأنه كان ينفق عليهم بكل ما يمكنه ، ولم تتغير ابدا معاشرته لهم . . . وتلقف الشرطي الكلام ليسأل الجيران المتحلقين حوله في مدخل العمارة :

- يعني حتى واحد منكم ما لاحظ غيابه في بعض الاوقات . . اوقات كان يمشي فيها عند امراته واولاده ؟
وتكلم شاب وسيم على عينيه نظارتان عدل وضعهما باناقة :

- الواقع . . انا كنت نلقاه في كل وقت نحتاج اليه وتساءل الشرطي مؤكدا :
- في كل وقت ؟
- ايه .

- في الليل ، في آخر الليل مثلا ؟

واجاب الشاب الوسيم :

- حتى بعد نص الليل في بعض الاحيان . .

وتنحج الشرطي متفحصا :

- ويمكن تقول لنا سبب حاجتك له في هذا الوقت ؟

وبدا التعلثم ، فكان لا بد من البحث عن سبب سبب

تزيل الارتباك وابتسامه وجلة ، وقال الشاب وهو يجول ببصره فيمن حوله :

- كلنا هكذا .

ولم يحول الشرطي عينيه من عيني الشاب الذي بدا

ضحية وعلامة لا يجوز التفريط فيها :

- اولا سألتك عن نفسك ، وثانيا سألتك عن سبب

طلبك له في آخر الليل ، وثالثا المفهوم من كلامك ان

الحاضرين كانوا كلهم في حالك مع السيد . .

لم تكن له قضية بالمره ، ولكنها تكونت تدريجيا فيما بينه وبين نفسه قبل ان تصبح قضية الناس او سكان العمارة على الاقل ، او على الاصح لتصبح قضية يتحدثون فيها دون علم به او بعلم ، فقد كان غائبا على كل حال . وغيابه هو مثار القضية عندما ظهر في الجرائد اعلان يقول : « السيد حمو بن سعيد المكنى حمو الأقرع يقارب الخمسين من عمره اختفى منذ ستة اشهر ، كان يشتغل بوابا بالعمارة رقم ١٧ شارع المحافظين بالرباط . . فالرجو ممن عرف عنه شيئا ان يخبر به الدائرة . . للشرطة او زوجته السيدة . . واولادها القاطنين ب . . الخ » .

حينئذ انتبه سكان العمارة الى غيابه او على الاقل اهتموا به وتحذثوا لبعضهم فيه وكانت مناسبة ليتعارفوا ، وكانوا قبل ذلك لا يكاد احد منهم يعرف صاحبه .

وفي علمهم ان السيد حمو ، عفوا حمو الأقرع ، نبت مع العمارة منذ ما لا يحددون ، فاقدمهم سكنا تبلغ اقامته اكثر من عشر سنوات كان حمو الأقرع اول من استقبله بها ، ولعل صاحب العمارة وحده كان قادرا على تحديد تاريخ دخول حمو الى العمارة ، ولكنه بعد ان بذل جهدا كبيرا للتذكر قال لرجل الشرطة وحوله بعض سكان العمارة « والله العظيم ما عرفت بالضبط . الواقع انه قديم عندي في الخدمة ، ولكن الوقت بالضبط . . ما نعرف . . بلا شك سجلت التاريخ عندي ولكن الان نسيت » .

وكان لا قدم ساكن من بين الجيران ان افاد ان الرجل اشتغل بوابا اكثر من عشر سنوات بدليل انه استقبله . . وافادت زوجته انها لا تزال تسكن مع اولادها الاربعة الصغار في المسكن الذي اكثروه منذ تاريخ لا تذكره ، وهو بالتأكيد قبل عمل زوجها بالعمارة بسنوات . والمسكن صغير في احد ضواحي المدينة . كما افادت ان البنيقة التي كانت مخصصة لزوجها في العمارة لم تكن تكفيه

واضطر الشرطي الى ان ينظر في مذكرته ليتذكر الاسم الكامل للمخفي .

ورد الشاب قبل ان يفلح في اشعال سيجارته:
- قلت لك كلنا هكذا .

حينئذ تكلمت سيدة من سكان العمارة :

- لا . هذا يتكلم على نفسه او على غيره من الرجال .
.. يمكن .. لكن النساء محكومات ، وحتى واحدة منا ما عندها غرض بالسي حمو الاقرع .

وركز الشرطي في ملامحها ومعلوماته عنها تتدافع في داخله : موظفة بشركة للتأمين .. شبه مطلقة في قضية معلقة .. لها بنت في حضانة في داخلية ..

ولكنه لم يستنتج من ملامحها ارتباكاً او اضطراباً ، وجالت عيناه في الوجوه المحيطة به ومعلوماته عنهم تتابع في داخله بسرعة البرق . وتوقف ليسأل :
- وانت عمره ما جاء عندك ؟

واجاب صاحب الحانوت المقارب للعمارة :

- الحانوت للجميع يا سيدي .
- اذن كان يجيء عندك .
- ايه . يقضي بعض المسائل .
- من اي نوع ؟
- كل نوع .. خبز الخ .
- وغيره ؟
- هذا ما كان .. الى آخره .

وادرك الشرطي انه يحوم في حلقة مفرغة بطريقته هذه ، فوسع مجال استعلامه :
- يا الله قولوا لنا الان على اصحابه . لازم كان عنده اصحاب بحالنا ؟

ورغم انه ركز في وجه المقاتل ، الا ان سؤاله كان موجها للجميع للتخفيف وطأة الاستجواب . ورد المقاتل بافكار منظملة :

- هذا الرجل حقيقة كان معنا في العمارة مدة طويلة ولكن انا ما اعتدي به معرفة صحيحة غير انسلام عليكم ، عليكم السلام ..

وترددت عدة اجوبة متداخلة من الجميع :
- هذا ما كان .

وبدت نظرية المجال الموسع للبحث غير مفيدة كنظرية المجال الضيق . لذلك فكر الشرطي قليلا قبل ان يفتح مجالا من عنده ، حينئذ تنبه اليه الجمع وهو ينهي اليهم ان الامر يتعلق بقضية انسانية خالصة ، فالرجل ليس مجرماً ، ولا متابعاً بشيء والتحريرات تفيد انه غير مدين لاحد ولا متكبيرا او مغامرا بل كان منظوياً منعزلاً ، ومن جهة اخرى فطيطة الشهور التي مضت على اختفاء السيد حمو .. المعروف بحمو الاقرع لم تظهر في الافق اية

جريمة في البلد كله تدل على انه قاتل او مقتول او سارق . فالمسألة انسانية تهدف الى جمع أكبر ما يمكن من معلومات لمساعدته ان كان في ضيق او على الاصح للتعرف عليه ، وعلى مكانه وربط علاقته بأسرته، وهذا اهم شيء خصوصاً وأنه كان مستقيماً مع أسرته رغم دخله المحدود . والمقصود الان هو التوصل بواسطة الحاضرين الى معرفة السر وراء غيابه . ويستنتج من مقارنة اقوال زوجته ببعض ما فاه به الحاضرون ان الرجل كان منظوياً لا يخبر احداً عن احواله الخاصة او ان احداً لم يحاول ان يعرف منه ذلك ، وأنه نجح في الا يجعل احداً يلاحظ غيبته عن العمارة عندما يزور اهله يومياً ليلاً او نهاراً ربما لانه كان يتخير الاوقات المناسبة . ولم يكن ايضاً ملحاحاً او متلهفاً على طلب المال بدليل انه كان دائماً راضياً عن اجرتة الزهيدة من صاحب العمارة ، ولم يكن يتذمر من تأخر الاجر احياناً .. الخ . المسألة انسانية ، انسانية فقط ولا خوف على احد فيها ابداً .

وكان لهذا العرض مفعوله الحسن ، اذ اشعل الشاب الوسيم سيجارته اخيراً ، وعادت ملامح الحضور وعضلاتهم الى وضعها الطبيعي بعد ان زایلها التوتر .
وقالت موظفة شركة التأمين :
- مسكين الله يرده على خير لاولاده .
وامن الحاضرون بأدعية مماثلة .

بالتأكيد لم تكن لحمو الاقرع قضية في بداية التحاقه بعمارة شارع المحافظة ، وقد اصبحت له فيما بعد قضية قيماً بينه وبين نفسه ، ولكن ليس من المؤكد انه قصد بهذا الاختفاء ان يجعل من نفسه قضية الناس او بعضهم على الاقل ممن لهم علاقة بالعمارة من صاحبها الى الجيران القاطنين والجوارين . وهو ان كان قد اختار هذه الطريقة فليس من المؤكد ان هؤلاء الناس ادركوها كاملة او ادركوا بعض جوانبها .

سكان العمارة كانوا جماعة نظيفة مهذبة ، وكانوا على جانب من اللطف . وصاحب العمارة كان من طبيعتهم الا انه مجرد عابر سبيل ، آخر كل شهر يمر لاخذ الكراء او يستعلم عن الشقق الفارغة او المهياة للافراغ دون ان ينظر في الواقع الى وجه البواب او يناديه حتى بكنيته . لعل ذلك لان حمو الاقرع كان دائماً يقف بجانبه كظله بمجرد ظهوره ، فلم يكن ثمة داع لمناداته . كل ما هناك ان صاحب العمارة لاحظ ، وأنه ليتذكر ذلك بجهد كبير ، ان الرجل اوشك ان يلقي عليه سؤالاً وهو يكاد ينصرف . فتوقف صاحب العمارة ، وقاطعه قبل ان يسمع السؤال قائلاً :

ولكن حمو الاقرع افاد انه لم يرد ان يسأل عن اجرتة لا عن المسبق منها ، ولا عن المؤخر .
وقال :
- لا آسيدي . انا على شيء آخر .
- قل .

وضعهما المريح بالحذاء كان ما يزال واقفا في فسحة
مدخل العمارة . ولم يسمع منها الا همهمة :
- الوقت مشى يا ربي :

وسأله صاحب المتجر المجاور ذات يوم :
- حمو .. شفت هذا النهار بحال .. ظاهر ليا عندك
شي .. حاجة .

وحينئذ انتبه حمو الاقرع الى ان بالامكان افراغ ما
بداته الى هذا ارجل ، قدامك ان يستمع اليه ويده تجمع
المواد المطلوبة وترصفها في القفة ، وقال حمو الاقرع :
- الحقيقة ياخي ، هذي شهور وراسي عامر
بامور ...

وكان صاحب الحانوت قد اعد كل المطلوب ، فدفع
القفة الى حمو الاقرع ، وهو يقول :
- يا لله ياخي ، اجر لصاحبك ، ها هو بدا يطبل
عليك ، وقل له يعطيك الحساب الله يخليك .

وبالفعل ، كان اقدم ساكن بانعمارة ، قد استبطأ
حمو الاقرع ، فأطل من نافذته يستعجله ، وعندما اعطاه
حمو القفة عند باب شقته في الطابق الثاني ، وحاول ان
يخطو راجعا استوقفه الرجل وقال غامزا ويده على كتفيه :
- هي خرجت ؟

وبدا عدم الفهم على حمو ، ولكن صاحب الشقة
اوضح سؤاله بابتسامة عريضة ازاحت طاقم اسنانه عن
وضعه المعهود ، فشد شذقيه يعيد وضعه وهو يغمز :
- صاحبتنا التحتانية .
- آه .. ما زالت ما خرجت .
- بارك الله فيك يا سي حمو .

وحين انصرف اشراطي واوشك الجيران ان ينصرفوا
ايضا ، وجد صاحب العمارة قرصة ليحدث بعضهم عن
الايجار المتأخر وهو يتحسر على البواب :
- مسكين ، عمري ما سمعت منه كلمة .

الرباط - المغرب

وتعلمت وبدا انه لا يجد التعبير المناسب . فكرر :
- الواحد لما يحس في خاطره بشيء .. شي .
وانتظر صاحب العمارة لحظة ، ولكن وقته كان
جد ضيق فانصرف قائلا :
- من بعد .. من بعد .

وحين نادى ساكن انشقة الثالثة الى اليمين حمو
الاقرع في الثانية صاحباً ليعثه لجلب شيء معين يصلح
لاتمام سهرة الرفاق عنده ، من مكان لا يعرفه غيره وعاد
حمو ، كان السؤال قد تجمع في ذهنه ولسانه مركزا
رواضحا ، لذلك مد المطلوب الى الشاب الوسيم وقال له :
- عندي سؤال .

وبدت عينا الشاب حمراوين غائبتين ، وقال بلطف :
- خل عندك الباقي .. تصبح على خير .

وحين ناداه مرة اخرى بعد ساعات من المطلوب الاول
وطلب منه ان يتوب عنه في مصاحبة فتاتين الى سكناهما
لانه غير قادر على ذلك كان السؤال واضحا مركزا ولكنه
كان متأكدا من انه لن يجد جوابا من صاحبه ، لذلك رمى
السؤال على احدى الفتاتين ، بعد ان حوره كثيرا ليصبح
ملائما حسب رأيه :

فقال لها :

- كيف جاتك الدنيا ؟

نظرت اليه ثم قهقهت قليلا وهي تتكئ على صاحبته ،
وردت عليه :

- الدنيا ؟ وانت مالك ؟ خلها على الله .

وانسلت مع رفيقتها الى مسكنها .

وعندما عاد لموظفة شركة التأمين الارملة بزرين
لقميصها البني ، وكانت لا تزال في شق بابها تنتظر
عودته ممسكة فتحة القميص باحدى يديها ، صاغ سؤاله
وهو يمد يده اليها بالمطلوب :
- انا في هذي العمارة بحال ..

لكنها كانت قد اغلقت الباب دونه ، وحين خرجت
بعد لحظة مسرعة ومتعثرة برجلين لم تستقرا بعد في

